- **ملخص المحاضرات: الثانية، الثالثة والرابعة (إعداد: MKYT)**

✓ **أقسام علم البلاغة**

كان علم البلاغة قديما وحدة شاملة لمباحث علوم المعاني والبيان والبديع، ثم نحى بها المشتغلون بها إلى التخصص والإستقلال تبعاً للصراع الذي كان بين علماء اللغة العربية، وعلى رأسهم المعتزلة الذين كانوا يدربون تلاميذهم على فنون الخطابة والجدل ...، وشمل هذا التدريب الكلام وصناعته وقيمته البلاغية والجمالية. تطور ذلك ليشمل العناية بدراسة بلاغة القرآن، وظهرت في القرن الرابع الهجري دراسات نقدية على أسس بلاغية، منها كتاب:

- "الصناعتين" لأبي الهلال العسكري (تـ 395 هـ) الذي درس فيه البلاغة دراسة دقيقة.

ثم في القرن الخامس كتاب:

- "البديع" لابن المعتز (تـ 296 هـ) الذي وضع فيه أساس علم البديع.
- "دلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجاني الذي وضع فيه نظرية علم المعاني.
- "أسرار البلاغة" لعبد القاهر الجرجاني الذي وضع فيه نظرية علم البيان.

وبذلك أصبح لعلم البلاغة ثلاثة فروع وهي:

- **فن المعاني:** قواعد يعرف بها كيفية مطابقة الكلام مقتضى الحال حتى يكون وفق الغرض الذي سيق له، فنعرف السبب الذي يدعو إلى (التقديم والتأخير والحذف والذكر، والإيجاز والإطناب، والفصل والوصل)، وبهذا فهو متعلق بالجانب اللفظي.
- **فن البيان:** يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة، ويحترز به عن التعقيد المعنوي، وبهذا فهو متعلق بالمضمون. وهو منحصر في أربعة أبواب: (التشبيه، المجاز، الاستعارة، والكناية).
- **فن البديع:** (تحسين الكلام) وهو متعلق باللفظ والمضمون معاً. ولا ينحصر في عدد محدد.

✓ **تعريف الفصاحة**

1. لغة لها معانٍ كثيرة:

- البيان والوضوح: نحو قوله تعالى: "وأخي هارون هو أفصح مني لسانا" [القصص: 34].
- أفصح الصبح؛ أضاءَ.
- أفصح الصبي؛ إذا بدأ يتكلم باللفظ الصحيح.
- أفصح الأعجمي؛ إذا حسُنت عربيته.

2. اصطلاحا: عبارة عن الألفاظ البينة الواضحة التي يسهل على اللسان نطقها من غير عناء، مع وضوح معناها، وكثرة تداولها بين المتكلمين، وموافقتها للقواعد الصرفية التي بها تسلم مادتها وصيغتها ومعناها من الخلل.

والألفاظ العربية تنقسم إلى ثلاثة أقسام: القسمان الأولان حكم لهما بالحسن، أحدهما ما تداول استعماله السلفُ والخلف من الزمن القديم إلى زماننا هذا. والثاني ما تداول استعماله السلف دون

الخلف، ويختلف في استعماله بالنسبة للزمن وأهله. وقد يكون عند المتأخرين وحشيا ولو استعمله السابقون.
ولا يدل هذا على أن ما استعمله العرب ليس وحشي اللفظ، وإنما يجب أن يعلم أن ما استحسنه الخلف كان عند السلف حسن ونفس الشيء لما استقبحوه.

✓ عناصر الفصاحة

❖ **فصاحة الكلمة:** والكلمة الفصيحة هي الكلمة المكونة من حروف متآلفة يسهل على اللسان نطقها من غير عناء، مع ما ذكرناه في تعريف الفصاحة اصطلاحاً.
ولا تعتبر الكلمة فصيحة إلا إذا تم:

1. **خلوصها من تنافر الحروف،** لتكون رقيقة عذبة خفيفة على اللسان والسمع. فلفظ "أسد" مثلاً أخف من "فَدَوْكَسْ".
وتنافر الحروف هو وصف في الكلمة يوجب ثقلها على السمع، وصعوبة أدائها باللسان، لتقارب مخارج حروفها، وذلك يأتي على نوعين:
- **تنافر شديد:** كلفظ "الظَّشّ" بمعنى الخشن / "الهُعَجُع" بمعنى العشب.
- **تنافر خفيف:** كلفظ "النقنقة" لصوت الضفادع / "مُسْتَشْزِرات" معنى مرتفعات.

❖ تقارب الحروف لا يوجب التنافرَ (كلفظ: بِفَمِي) وتباعدُها لا يوجب خفة الألفاظ (كلفظ: مُلَمَّع).

2. **خلوصها من غرابة الاستعمال،** أي كون الكلمة غير ظاهرة المعنى، ولا مألوفة الاستعمال عند فصحاء العرب. وغرابة استعمال الكلمة قسمان:
- **القسم الأول:** ما يوجب حيرة السامع في فهم المعنى المقصود من الكلمة، لترددها بين معنيين أو أكثر بلا قرينة. ويحصل ذلك في الألفاظ المشتركة. مثل كلمة "مُسَرَّج" في قول الشاعر: ومقلةً وحاجباً مزججاً /// وفاحماً ومَرْسِنا مُسَرَّجاً
قال ابنُ دريد: أنَّ أنفه في الاستواء والدقة كالسيف السِّريجي. وقال ابن سيده: أنه في البريق واللمعان كالسِّراج.
وبهذا فإنَّهُ يحتار السامع والمتتبع في فهم المعنى المقصود.
- **القسم الثاني:** ما يعاب استعماله لصعوبة تتبعه، والبحث عنه في المعاجم. فإما أن:
  - ✓ يعثر عن تفسيره نحو: تَكَأْكَأْتُم = اجتمعتم / ذِي جِّنَّة = مَجْنُون، ...
  - ✓ لا يعثر عن تفسيره نحو: جَحْلَنْجَعْ جتى قال صاحب القاموس:" ذكروا جحلنجع ولم يفسروه.

3. **خلوصها من مخالفة القياس الصرفي حتى لا تكون شادة،** أي من كون الكلمة تأتي شادةً غير جارية على القانون الصَّرفي المستنبط من كلام العرب، أي مخالفة لما ثبت في العرف العربي الصحيح، ككلمة "الأجْلَلِ" فإن القياس هو "الأَجَلّ" بالإدغام.
ويستثنى من هذا ما ثبت استعماله لدى علماء الصرف من قواعدهم المجمع عليها وإن خالف القياس اللغوي، كـ "آل" وأصلها "أهل" / "المشرِق والمغرِب" بالكسر والقياس فتحُها.

4. **خلوصها من الكراهة في السمع**، أي من كون الكلمة أو اللفظة وحشية، تأنفها الطباع، وتمجها الأسماع.

❖ **فصاحة الكلام**: وهي أن يتكون من كلمات فصيحة يسهل على اللسان نطقه بها لتآلفها، كما يسهل على العقل فهمها لترتيب ألفاظها وفق ترتيب المعاني.

ويرجع هذا إلى الذوق السليم والإلمام بقواعد النحو وقواعد الصرف. بحيث يجب أن يكون الكلام واضحَ المعنى سهل اللفظ حسنَ السبك. وتتحقق فصاحة الكلام بخلوه من ستة أمور:

1. **تنافر الكلمات مجتمعة**: بأن تكون الكلمات ثقيلة على السمع من تركيبها مع بعضها، عسرة النطق بها عند اجتماعها على اللسان.

ويحصل تنافر الكلام إما بتجاوز كلمات متقاربة الحروف، وإما بتكرار كلمة واحدة ويأتي هذا التنافر على نوعين، تنافر:

- **شديد الثقل**: كقول الشاعر:

" وقبرُ حربٍ بمكانٍ قفر /// وليس قربَ قبرِ حَرْب قَبْرُ "

- **خفيف الثقل**: كقول أبي تمام:

" كريم متى أمدحه أمدحه والورى /// معي، وإذا ما لمته لمته وحدي"

2. **ضعف التأليف**: كون الكلام جاريا على خلاف ما اشتهر من قوانين النحو المعتبرة عند جمهور العلماء.

3. **التعقيد اللفظي**: كون الكلام خفيَ الدلالة على المعنى المراد به، بحيث تكون الألفاظ غيرَ مرتبة على وفق ترتيب المعاني. وينشأ بهذا التعقيدُ من تقديم أو تأخير. مثال قول المتنبي:

"جَفَخَتْ وهم لا يجْفَخون بها بهم /// شِيَّمٌ على الحسبِ الأغرِّ دلائل"

حيث أصل الكلام: جفخت (افتخرت) بهم شيمٌ دلائل على الحسب الأغر، وهم لا يجفخون بها.

4. **التعقيد المعنوي**: كون التركيب خفي الدلالة على المعنى المراد بحيث لا يفهم معناه إلا بعد عناء وتفكير طويل.

5. **كثرة التكرار**: كون الكلمة الواحدة تتكرر في الكلام أكثر من مرتين بغير فائدة (حتى نتفادى الكلام عن التوكيد اللفظي)، وتكرار الكلمة مرتين لا يخل بالفصاحة.

6. **تتابع الإضافات**: كون الاسم مضافاً إضافة متداخلة غالبا، كقول الشاعر:

"حمامةً جَرَعَا حَومةِ الجندلِ اسْجَعِي /// فَأَنتِ بمرأى من سعادٍ ومسْمَعِ"

فيه إضافة "حمامة" إلى "جرعا" وهو المكان ذو الحجارة السود، و"جرعا" مضاف إلى "حومة" وهي معظم الشيء، و"حومة" مضاف إلى "الجندل" وهو الحجر أو مكان الحجارة.

❖ **فصاحة المتكلم**: كون المتكلم له ملكة تمكنه من التعبير عن كل ما قصده من أي نوع من المعاني كالمدح والذم والرثاء وغير ذلك بكلام فصيح. ويقصد بالكلام الفصيح خلوه من الخلل في:

- مادته، وذلك بعدم تنافر كلماته.
- تأليفه، وذلك بعدم ضعف تأليفه.
- دلالته على المعنى التركيبي، وذلك بعدم التعقيد اللفظي والمعنوي.